اتصافه عز وجل بصفة بالكلام (تابع)

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، .. إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا الدرس ..، من دروس فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين حفظه الله وسدد خطاه، وهو من كتاب " سلم الوصول إلى علم الأصول "، وبعض من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. قال: كذا بالأبصار إليه ينظر وبالآيات خطه يسطر وكل ذي مخلوقة حقيقة دون كلام باري الخليقة جلت صفات ربنا الرحمن عن وصفها بالخلق والحدثان فالصوت والألحان صوت القاري لكنما المتلو قول الباري ما قاله لا يقبل التبديلا كلا ولا أصدق منه قيلا وقد روى الثقات عن خير الملا بأنه عز وجل وعلا في ثلث الليل الأخير ينزل يقول هل من تائب فيقبل هل من مسيء طالب للمغفرة يجد كريما قابلا للمعذرة يمن بالخيرات والفضائل ويستر العيب ويعطي السائل وأنه يجيء يوم الفصل كما يشاء للقضاء العدل وأنه يرى بلا إنكار في جنة الفردوس بالأبصار كل يراه رؤية العيان كما أتى في محكم القرآن وفي حديث سيد الأنام من غير ما شك ولا إيهام رؤية حق ليس يمترونها كالشمس صحوا لا سحاب دونها وخص بالرؤية أولياؤه فضيلة وحجبوا أعداؤه وكل ما له من الصفات أثبتها في محكم الآيات أو صح فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول نمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن بهديهم قد اهتدى وسم ذا النوع من التوحيد توحيد إثبات بلا ترديد قد أفصح الوحي المبين عنه فالتمس الهدى المنير منه لا تتبع أقوال كل مارد غاو مضل مارق معاند فليس بعد رد ذا التبيان مثقال ذرة من الإيمان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. تكلم في هذه الأبيات عن القرآن الكريم؛ فذكر أن القرآن نقرؤه بألسنتنا، وألسنتنا وحركاتها مخلوقة، وننظر إليه بأبصارنا، وأبصارنا مخلوقة، ونكتبه بأيدينا، وأيدينا مخلوقة، والأوراق التي نكتب بها أيضا مخلوقة، وكذا نسمعه بآذاننا، وآذاننا مخلوقة، فعلى هذا المتلو المقروء كلام الله تعالى غير مخلوق وحركاتنا مخلوقة، واختلف هل يقال: لفظي بالقرآن مخلوق؟ أجاز ذلك بعضهم ، كما روي عن البخاري أنه أجاز أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، ويريد بذلك حركات لساني وشفتي، هذه الحركات مخلوقة، ومنع من ذلك آخرون وقالوا: إنه ذريعة إلى أن يقال: لفظي -يعني ما أتلفظ به- فيكون مرادهم باللفظ: الملفوظ. الملفوظ به هو الآيات والكلمات القرآنية، ولا شك أنها كلام الله – تعالى- حيثما تليت، وحيثما سمعت، وحيثما كتبت فهي كلام الله – تعالى- الحروف والمعاني، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، وقد ذهبت الأشاعرة إلى إن كلام الله هو المعنى، وقالوا: إن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأنه شيء واحد، إن عبر عنه بالعربية؛ فهو قرآن، أو بالعبرية فهو توراة، أو بالسريانية فهو إنجيل، فكلام الله عندهم هو المعنى؛ بخلاف الألفاظ فإنها ليست كلامه، وإنما هي إما تعبير من الملك، وإما تعبير من الرسل - هكذا قالوا - فأنكروا أن تكون حروف القرآن هي عين كلام الله. وأهل السنة يقولون: إنه كلام الله، الحروف والمعاني. بل إنه عين الكلام أتى به جبريل ينسخ حكم كل كتاب فهو كلام الله حقا. يقول شيخ الإسلام في " الواسطية ":إنه عين كلام الله تعالى فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، صحيح ما ذكره، الأشاعرة يستدلون ببيت ينسبونه إلى الأخطل وهو ليس بصحيح عنه، يقولون إنه يقول:- إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وهذا البيت يقول: ما روي بإسناد صحيح ولا حسن ولا ضعيف، وأنتم تردون الأحاديث الصحيحة التي في الصحيحين، وتقولون: إنها أخبار آحاد، فكيف تقبلون هذا البيت الذي ليس له إسناد، وتقدمونه على أخبار الآحاد التي في الصحيحين ؟! ثم لم يثبت عن الأخطل ؛ وذلك لأن الأخطل له ديوان، وهو لم يوجد في ديوانه، ورواه بعضهم: إن البيان لا إن الكلام، فحرفوه ليكون على مذهبهم فقالوا: إن الكلام لفي الفؤاد. ثم لو قُدر أنه ثابت عن الأخطل فكيف تقبلونه؟ والأخطل نصراني، وتقدمونه على كلام العرب؟ ثم إنه سمي أخطل من الخطل الذي: هو الخطأ، فهو خطاء، هو نصراني؛ فلا يقبل كلامه، والنصارى قد ضلوا، أي في الكلام في مسماه، ادعوا أن عيسى عليه السلام هو عين الكلمة؛ فتكلم بذلك إن ثبت عنه على ما يعتقده يقول شيخ الإسلام في لاميته:- قبح لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل لا شك أن هذا عين البعد عن الحق، ويقول ابن القيم في النونية: ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني هذا هو دليلهم، وتركوا الأدلة التي فيها التصريح مثل قوله تعالى: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } وفيها التصريح بالكلام وبالقول كقوله – تعالى- { يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ } فذكره بلفظ الكلام وبلفظ القول فالله – تعالى- دائما ينسب إلى نفسه القول كقوله: { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } { قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ } { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ } ونحو ذلك من الآيات التي فيها إثبات القول، فإذا كان كذلك فإننا نقول: القرآن عين كلام الله تعالى. فالصوت والألحان صوت القاري لكنما المتلو قول الباري ما قاله لا يقبل التبديلا

..... كلامه تعالى لا يقبل التبديل قال تعالى: { فلن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } وقال تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } لا أحد يبدل كلماته. ما قاله لا يقبل التبديلا كلا ولا أصدق منه قيلا يعني لا أحد أصدق منه { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } أي لا أحد .